شرح كتاب الفتن من صحيح البخاري: الدرس الثاني

لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن أحمد البداح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على آلائه والشكر له على نعمائه، وصلى الله وسلم على خير خلقه وأنبيائه، فهذا كتاب الفتن من صحيح البخاري رحمه الله. قال المؤلف غفر الله له ولشيخنا والحاضرين:

" بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَاب الْفِتَنِ" بَاب مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى :﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً..﴾[الأنفال:٢٥]، وَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَذِّرُ مِنْ الْفِتَنِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فهذا هو الدرس الثاني من شرح كِتَاب الْفِتَنِ من صحيح الإمام البخاري.

يقول المؤلف: **وَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَذِّرُ مِنْ الْفِتَنِ.** يعني أنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُحَذِّرُ مِنْ الْفِتَنِ، فقد جاء في صحيح مسلم ((بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ))، وجاء في البخاري ومسلم أيضًا((سَتَكُونُ فِتَنٌ ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي))، فهذه الأحاديث وما في معناها فيها التحذير من الفتن، وحذَّر النبي ﷺ أمته من الفتن؛ لأنها تُذهِب الدين، وتُهلِك الناس، وهذا من رحمته، وشفقته ﷺ بأمته.

أحسن الله إليكم شيخنا

قال: **"حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قال: حَدَّثَنَا بِشْرُبْنُ السَّرِيِّ قال: حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ عُمَرَعَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ قَالَتْ أَسْمَاءُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((أَنَا عَلَى حَوْضِي أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ فَيُؤْخَذُ بِنَاسٍ مِنْ دُونِي فَأَقُولُ أُمَّتِي فَيَقُولُ: لَا تَدْرِي مَشَوْا عَلَى الْقَهْقَرَى)) قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا أَوْنُفْتَنَ"**

هذا الحديث يسمى حديث الحَوض، وقد أخرجه أيضًا مسلم، والإمام أحمد بألفاظٍ مختلفة

وأحاديث الحوض أحاديث متواترة ذكر ذلك غير واحدٍ من أهل العلم، والمراد بالحوض: ما أكرم الله عز وجل به نبيه ﷺ من حوضٍ في القيامة تَرِدُهُ أمته، والإيمان بهذا الحَوض واجب.

ما مناسبة إيراد هذا الحديث في كتاب الفتن؟ أنَّ النبي ﷺ أخبر في هذا الحديث عن وقوع التبديل والإحداث في الدين.

أحسن الله إليكم شيخنا

قَالَ: ((أَنَا عَلَى حَوْضِي أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ فَيُؤْخَذُ بِنَاسٍ مِنْ دُونِي فَأَقُولُ أُمَّتِي – أُمَّتِي: هذا لفظ يراد به أحيانًا أمة الإجابة يعني من استجابوا للنبي ﷺ وآمنوا به، وأحيانًا يُراد به أمة الدعوة يعني الذين بلغتهم دعوة النبي ﷺ ، ولم يؤمنوا به، وأحيانًا يحتمل هذا أو ذاك، فمما جاء ويُراد به أمة الإجابة قوله ﷺ في الصحيح في البخاري: ((ليكونن أقوامٌ من أمتي يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف)) أمتي هنا يعني أمة الإجابة الذين أجابوا النبي ﷺ وآمنوا به، ومن النوع الثاني المراد بالأمة أمة الدعوة قوله عليه الصلاة والسلام في صحيح مسلم: ((والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحَدٌ من هذه الأمة يهوديٌ ولا نصرانيٌ ثم لا يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أهل النار))، فالمراد بالأمة هنا أمة الدعوة ، وأحيانًا يحتمل هذا أو ذاك، مثل ما جاء عند أصحاب السنن أن النبي ﷺ قال: ((...وستفترق أمتي..)) اختلف أهل العلم في المراد بالأمة هنا؛ هل هي أمة الإجابة أم أمة الدعوة ((..فَيَقُولُ لَا تَدْرِي مَشَوْا عَلَى الْقَهْقَرَى)) القهقرى: الرجوع إلى الوراء.

أحسن الله إليكم شيخنا

قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا أَوْ نُفْتَنَ

هذا دعاءٌ من عبد الله بن أبي مُلَيْكَةَ أحد التابعين متوفى سنة مئة وسبع عشرة قد كان قاضيًا في الطائف لخلافة عبد الله بن الزبير على الحجاز، فدعا بالثبات على الدين، وهذا الذي ينبغي للمسلم، وقد كان النبي ﷺ يُكثر من قول: ((اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك))، ((يا مصرف القلوب والأبصار صرف قلبي على طاعتك))، **أَوْ أن نُفْتَنَ**: يعني عن ديننا، وقد جاء الأمر بالاستعاذة من الفتن، ففي صحيح مسلم من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن))،وجاء أيضًا الأمر بالاستعاذة من الفتن في دبر كل صلاة كما في حديث عائشة رضي الله عنها في الصحيح: ((إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع: من نار جهنم، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال)).

أحسن الله إليكم شيخنا

قال: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ قال: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ مُغِيرَةَ عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ قَالَ النبي ﷺ: ((أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ لَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لِأُنَاوِلَهُمْ اخْتُلِجُوا- يعني جُذِبوا- دُونِي فَأَقُولُ أَيْ رَبِّ أَصْحَابِي يَقُولُ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ)) ليس المراد هنا بالذين ارتدوا هم صحابة رسول الله ﷺ وإنما المراد من ارتد بعد وفاته ﷺ من جفاة الأعراب، وقوله هنا أصحابي، وفي رواية أُصَيحابي إشارة إلى التقليل المراد الصحبة اللغوية، لأن النبي ﷺ كما في البخاري لما قيل له في قتل عبد الله بن أُبَي وهو رأس المنافقين قال: ((لئلا يتحدث الناس أنَّ محمدًا يقتل أصحابه)) فجعل عبد الله بن أُبَي وهو رأس المنافقين من أصحابه لكن ليس المراد صحابة رسول الله ﷺ، ولذلك يدخل في الذين يُذادون عن الحَوض من ارتد بعد وفاة النبي ﷺ، ويدخل فيهم أهل الأهواء من الخوارج والرافضة، ويدخل فيهم أهل الكبائر الذين ماتوا من غير توبة، والإحداث هنا في "إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك" يشمل الإحداث بالكفر، والإحداث بالبدعة، والإحداث بالمعصية.

أحسن الله إليكم شيخنا

قال: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ قال: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: ((أَنَا فَرَطُكُمْ - يعني مُقَدَمكم- عَلَى الْحَوْضِ مَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا لَيَرِدَن عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ)) قَالَ أَبُو حَازِمٍ فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ وَأَنَا أُحَدِّثُهُمْ هَذَا فَقَالَ هَكَذَا سَمِعْتَ سَهْلًا فَقُلْتُ نَعَمْ قَالَ وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فِيهِ قَالَ: ((إِنَّهُمْ مِنِّي فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي))

وهذا فيه أنَّ النبي ﷺ لا يعلم الغيب؛ لأن الإحداث من هؤلاء جرى بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، ففي حديث الحوض الإشارة إلى ما يقع من الفتن ومن أعظم الفتن الرجوع عن الدين، والارتداد عنه، وكان هذا بعد وفاة النبي ﷺ لما كفر من كفر من العرب، ومنهم من صدَّق الذين ادَّعَوا النبوة، ولا يزال الارتداد عن الدين إلى قيام الساعة؛ ولهذا سيأتي معنا في هذا الكتاب باب "تغير الزمان والارتداد عن الدين".

أحسن الله إليكم شيخنا

بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: ((سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا)) وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ)) أورد البخاري-رحمه الله- هذا الحديث حديث عبد الله بن زيد مختصرًا :إنكم سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا- الأثرة هي الانفراد، والاختصاص بالدنيا أو بشيءٍ منها، والمراد بالأمور المُستنكَرة يعني ما يقع من التغيير في الدين، وهذا وذاك جرى الإشارة إليهما في حديث العرباض بن سارية عند أحمد وأصحاب السنن: ((فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا- وفي روايةٍ- شديدًا))، فإنه يشمل التغيير في

الدين ويشمل الاختصاص، والاستئثار بالدنيا، أو بشيءٍ منها، والنبي ﷺ أمر هنا بالصبر؛ ولهذا الواجب على المسلم أن يصبر عند حصول شيءٍ من الاستئثار أو الانفراد بالدنيا، أو عند حصول التغيير في الدين، والصبر يحتاج إلى جهد، ومجاهدة؛ لأنَّ الصبر على الاستئثار لأن رؤية الاستئثار بالدنيا قد يبعث في النفس الغيظ؛ لكنَّ المؤمن يلتزم بتوجيه النبي ﷺ بالصبر على ذلك، ولماذا أُمِر الناس بالصبر؟ لأن في ذلك حقن للدماء وتسكين للفتنة والدهماء؛ لأنَّ انفكاك الناس من الصبر معناه خروجهم إلى الفتنة، والفتنة أول من يتأذَّى بها ومنها هم عامَّة الناس؛ ولهذا أُمِر الناس بالصبر، وهل يُقِر الإسلام المفاسد والمظالم؟

الإسلام لا يُقِر المفاسد ولا المظالم، ومن كان قادرًا على إنكارها إن كان له ولاية، أو لا يخشى الأذى، فإنه يتعين عليه الإنكار؛ لكنَّ الإسلام يرى أنَّ المظالم والمفاسد على رُتَب، وأنَّ بعضها أعظم من بعض، فالصبر على مفسدة التغيير في الدين أو الاستئثار بشيءٍ من الدنيا أهون من حصول الفتن العامَّة التي تُذهِب الأديان، وتُهلِك الأبدان، وهذا الأصل أصلٌ عظيمٌ في الشرع

لا يمكن تجاهله حتى وإن كثُر الذين يشاغبون حوله حتى وإن كثُر الذين يُنَفِّرون منه. نحن مُتَعبَّدون بالتزام التوجيه النبوي، والنبي ﷺ وجَّهنا بالصبر عند حصول ذلك مع الإنكار لمن قدر على ذلك، والصبر هنا عبادةٌ عظيمة؛ الله عز وجل يقول:﴿... إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠]، ويقول عن أهل الإيمان وأهل الجنة: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل:٤٢]، والصبر فيه دفع فتن عظيمة عن المسلمين، والذين يستعجلون يندمون، والنبي ﷺ عاش في مكة ثلاث عشرة سنة، وكان يرى الأصنام حول الكعبة، ويرى أصحابه يُعَذَّبون، وهو نبيٌ مُرسَل، ومُؤَيَّدٌ بالوحي، والله عز وجل قادرٌ على نصرة نبيه ﷺ في لحظة لكنَّ عادة الله تعالى أنَّه سبحانه يُؤَخر النصر للمؤمنين، وأنَّه سبحانه يُمهِل الظالمين، وأنَّه يختبر هؤلاء بهؤلاء حتى يتبين الصادق من الكاذب، فالنبي ﷺ كان يرى الشرك الأكبر، والذنب الذي لا يُغفَر أمامه ثلاث عشرة سنة، ومع ذلك صبر عليه الصلاة والسلام، وكانت الآيات المكية تنزل عليه في أمره بالصبر، وأمره بالكف عن القتال، بل إنَّ أصحابه كما في الصحيح لما جاؤوا يشتكون إليه ما يجدونه من الكفار أمرهم بالصبر، وذكرهم بحال من قبلهم، وقال لهم: ((...ولكنكم قومٌ تستعجلون)) ابن القيم-رحمه الله- في إعلام الموقعين يقول: "من تأمل ما جرى على الإسلام من الفتن الصغار والكبار وجدها من إضاعة هذا الأصل يعني الصبر على المنكر الذي لا يُقدر على تغييره، وهذا أمر الله القدري الكوني إنه يختبر المؤمنين بوجود الفساد في الأرض، ووجود الفساد في الأرض من طبيعتها التي خلقها الله عز وجل عليها؛ ولهذا لما خلق الله عز وجل آدم أشار إلى هذا في قوله سبحانه: :﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ...﴾ [البقرة:٣٠] إذًا فالفساد من طبيعة الأرض ومُلازِمٌ لها، ولا يُتَصَوَّر خلو الأرض من الفساد، لكن أحيانًا يكثُر، وأحيانًا يَقِل، وأحيانًا يظهر، وأحيانًا يُسَر،

وهذا وِفق حكمة الله عز وجل، ولو خلت الأرض من الفساد لتعطَّلت شعائر، وشرائع: شريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشريعة الدعوة إلى الله، وشريعة الصبر، وشريعة الاحتساب. شرائع كثيرة تُعدَم بسبب انعدام الفساد؛ ولهذا المؤمن لما ينظر إلى الواقع بنور الوحي فإنه يطمئن ويسكن؛ لأنَّ هذا ما أخبر به النبي ﷺ، ويطمئن ويسكن؛ لأنَّ النبي عليه الصلاة والسلام أمر بالصبر، ويطمئن ويسكن؛ لأنَّه يعلم أن هذا قدره الله عز وجل وقضاه لحكمةٍ عظيمة أو لحكم عظيمة؛ ولهذا ينبغي للناس أن لا ينظروا إلى من يُشَغِّب هذا الأصل خاصة في ظل وجود واتساع وسائل الاتصال والتواصل، فأصبح كلٌ يتكلم الجاهل ونصف المتعلم، والمُغرِض، والمُشَوِّش. كل هؤلاء يتكلمون، وأصبح كثير من الناس وظيفته التلقي فقد فَغَر فاه، وفتح عقله يستقبل كل ما يلقونه هؤلاء من أفكار وآراء، وبعض الناس سريع التأثُر بمثل ما يُلقى خاصةً مع الجهل بالسنة، والجهل بعقيدة أهل السنة، والجهل بالحديث والآثار. هذه الأحاديث والآثار التي نقرؤها كثير من الناس يجهلونها، ولا يجدون من يعلمهم إياها أو هم لا يطلبونها من مظانها، وإنما يتركون أنفسهم هَلكى وصرعى لهؤلاء الجهال والمشوشين، والمغرضين وأصحاب النوايا السيئة والمقاصد المدخولة؛ ولهذا المؤمن يلزم السنة ويحرص عليها ويتمسك بها حتى وإن نُفِّر منه حتى وإن شُوِّه لأن هذه السنة هي التي تضمن لنا النجاة في الدنيا والنجاة في الآخرة ، وتأمَّل قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما قال لكميل بن زياد النَّخَعي قال له: "احفظ عني الناس ثلاثة عالمٌ رباني ، ومتعلمٌ على سبيل نجاة ، وهَمَجٌ رِعاع أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركنٍ وثيق" . الخطيب البغدادي يقول " هذا الحديث من أحسن الأحاديث معنى، وأعظمها لفظًا" فالمؤمن لا يُبالي بالهمج الرعاع أتباع كل ناعق؛ فهم لا يميزون بين الحق والباطل، ولا بين الهدى والضلال. لماذا؟

لأنهم لم يستضيئوا بنور العلم، فنحن نقول: إن النبي ﷺ أخبرنا عما يقع في آخر الزمان من الاستئثار بالدنيا والانفراد بها ، وأخبرنا عما يحصل في آخر الزمان من تغيير الدين، وأمرنا عند ذلك بالصبر، ولو أمرنا بغيره لأخذنا به، فهل عندكم أيها المخالفون أثرة من علم، أو نص من قرآن أو من سنة فيها توجيهٌ بغير ذلك؟ لا يوجد إلا هذا، والتزام السنة النبوية في ذلك، والطريقة المحمدية ضمان للإنسان من الانحراف، وسبيل للنجاة في الآخرة؛ أما الذي يُخالف التوجيه النبوي فإنه عُرضة للفتنة، والفتنة معناها ذهاب الدين ، وهلاك النفس، وهي أيضًا ذَهابٌ للنجاة في الآخرة.

أحسن الله إليكم شيخنا

قال: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قال: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ قال: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ قال: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ قال: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً- يعني الانفراد بشيءٍ من الدنيا- **وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا** - يعني من أمور الدين، وهذا ما يحصل من أمراء الجَور-**قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ أَدُّوا إِلَيْهِمْ**

حَقَّهُمْ وَسَلُوا اللَّهَ حَقَّكُمْ)) يعني أدوا إلى أمرائكم حقهم من الجهاد معهم ومن دفع الزكاة لهم، وسلوا الله عز وجل حقكم يعني سلوا الله عز وجل أن يعوضكم خيرًا أو أن يبدلكم بمن هم أفضل منهم وهذا فيه الإشارة إلى اللجوء إلى الله عز وجل بالدعاء، والتوبة فإنَّ من أسباب تغيير الحال اللجوء إلى الله عز وجل، والتوبة إليه.

أحسن الله إليكم شيخنا

قال: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ عَنْ الْجَعْدِ عَنْ أَبِي رَجَاءٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا -يعني من أمر الدين أو من أمر الدنيا ماذا يفعل؟ فليصبر- **فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنْ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً))** يعني ولو بأدنى خروج مات ميتةً جاهلية يعني كحال أهل الجاهلية؛ لأن أهل الجاهلية ليس لهم إمامٌ مُطاع أما أهل الإسلام فإنهم يرون الولاية والإمارة، ويرون وجوب السمع والطاعة في المعروف.

حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ قال: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ الْجَعْدِ أَبِي عُثْمَانَ قال: حَدَّثَنِي أَبُو رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً))

قال: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قال: حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ عَنْ عَمْرٍو عَنْ بُكَيْرٍ عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ مَرِيضٌ قُلْنَا أَصْلَحَكَ اللَّهُ حَدِّثْ بِحَدِيثٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِ سَمِعْتَهُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا ((أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَ أَثَرَةٍ عَلَيْنَا وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنْ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ))

هذا الحديث فيه أنَّ الإمام إذا تمت له البيعة أو ظهر على الناس، وتغلب عليهم، فإنه تجب طاعته، وتحرم مخالفته، والطاعة هنا الطاعة في المعروف كما جاء في الحديث: **((إنما الطاعة في المعروف))**، والسمع والطاعة للإمام ليس لأجل الدنيا، وإنما هذه بيعة شرعية يجب فيها السمع والطاعة للإمام سواءً في حال المَنشَط يعني النشاط، أو في حال المكرَه يعني في حال الكسل، وسواءً أُعطيتَ من الدنيا أو لم تُعطَ منها، ولا يجوز الخروج على الإمام إلا في أمرين أو إلا بأمرين: الأمر الأول: وجود الكفر البُواح ومعنى البُواح يعني الظاهر البين عندكم فيه من الله برهان يعني نص لا يحتمل التأويل وليس فيه شبهة.

والأمر الثاني : القدرة على ذلك، فإذا لم يكن الكفر البواح يعني الظاهر البين الذي ليس فيه تأويل وإلا فلا يجوز الخروج. قد جاء في روايات صُراحًا وجاء في رواية بَراحًا. كلها تشير إلى أن هذا الكفر يجب أن يكون ظاهرًا بينًا صريحًا ليس لتأويلٍ أو شبهة، والذي يُرجَع إليه في هذا هم أهل العلم الراسخون فيه.

والأمر الثاني: أن يكون الناس عندهم قدرة على ذلك.

أحسن الله إليكم شيخنا

قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَرْعَرَةَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَعْمَلْتَ فُلَانًا وَلَمْ تَسْتَعْمِلْنِي قَالَ ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي))

إنك استعملت فلانًا يعني قلدته عملًا، ولم تستعملني هذا في الانفراد بالدنيا فقال النبي عليه الصلاة والسلام: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً- يعني انفراد واختصاص بالدنيا فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي على الحوض فأمر صلى الله عليه وسلم بالصبر، وهنا مَلْحظٌ مهم وهو أن بعض الناس قد يكون عنده قدرة أو مُكنَة أو ذكاء أو فهم فيرى أنه حُجِب عن المراتب والمناصب والمكانة والمنزلة، والنفوس بطبيعتها تتطلع إلى ذلك وتميل إليه، ويرى ناسًا في نظره أقل منه، ومع ذلك حازوا مراتب ومناصب فمثل هذا قد يحصل عنده نوع من الجزع، وقد يدفعه ذلك إلى الخروج عن النهج النبوي في الصبر، وهذا كله بسبب ضعف البصيرة فإنَّ الدنيا ليست ميزانًا عند المؤمن لأنه جاء في الصحيح أنَّ الله عز وجل يؤتي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يؤتي الدين إلا من يحب، فالمؤمن لا يتطلع إلى الدنيا ، ويجاهد نفسه في حملها على ذلك، ولكن الشأن إن المؤمن ينافس في الدين، وفي عمل الآخرة.

الأمر الثاني: أنَّ هذه الدنيا التي تتطلع إليها وترغب فيها قد يكون عطبك وهلاكك فيما تتطلع إليه؛ ولهذا جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال:" إنَّ العبد ليُيَسَّر إلى الإمارة أو التجارة ثم ينظر الله تعالى إليه فيقول: يا ملائكتي اصرفوه عنها، فإنه لو يُسِّر إليها لطَرَحْتُه في النار" يعني أن ما يطمع إليه قد يكون سببًا في هلاكه في الدين أو الدنيا أو الآخرة، فيُصرَف عنها، فيتطير يعني يتشاءم، وما علم أن ذلك فضل الله تعالى عليه.

الأمر الثالث: أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام أخبر أنه في آخر الزمان تكون الدنيا للخسيس الدنيء كما جاء عند أحمد وغيره أنَّ النبي ﷺ قال: **((لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لُكَعُ بنُ لُكَعُ))**. فالمؤمن إذا استحضر هذه الأمور فإنه لا يتطلع إلى الدنيا ولا يجعلها ميزانًا أو مِحوَر للقبول والرد أو الولاء أو البراء وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.